ان مبدأ نيكسون وكيسنجر الذي يوكل الى بعض الدول القيام بمهام حربية معينة نيابة عن الولايات المتحدة لخدمة اهداف السياسة الامريكية ، يرمي الى تحقيق هذه الاهداف بارخص السبل وانجعها . فهو لا يقلص التزامات الولايات المتحدة في الخارج ، بل على العكس ، يضاعفها باستخدام التكنولوجية والمساعدات المادية للحصول على أقصى حد من النتائج . لقد افصح الرئيس نيكسون عن مبدئه الهادىء في رسالته عن الوضع العالمي لعام ١٩٧١ بقوله ان امريكة لا يمكنها ان تزود حلفاءها بالمال والرجال والتجهيزات ، وبالتالي ينبغي ان تعتمد الولايات المتحدة على « الشركاء » اي الدول المنابة ، لقمع الثورة الاشتراكية لكي يسود « السلام والامن » في العالم . وجدير بالذكر ان عبارة « السلام والامن » على النمط الامريكي تساوي كلمة «الوضع الراهن» . ولا يهم بالنسبة لنيكسون وكيسنجر ما اذا كان الوضع الراهن هو عادل أم لا ، ففي نظرهما يكفي ان يكون نعته « شرعيا » ، ويجب اعادته والحفاظ عليه بمعونة الدول المنابة . لقد ابلغ نيكسون احد محرري صحيفة **نيويورك تايمز** ، س. ل. سالزبرغر اثناء مقابلة بينهما تمت عام ١٩٧٠ ، « ... كما بينت في شرحي الاول لمبدأ نيكسون ، يتجه فكرنا الى خلق وضع في تلك البلدان التي نرتبط معها بالتزامات ، يوجب عليها ان تعتمد علينا لتزويدها بالانبوب والماء ، اذا كانت على استعداد لخوض غمار الحرب » . اما رجال المطافىء المكلفون باخماد نيران الثورات الاجتماعية فتقدمهم الدول المنابة .

وبحسب ما يراه نيكسون وكيسنجر ، يمكن ، بل ينبغي ، انهاء الحرب الباردة ضمن اطار خفض الوجود الامريكي ورفع دور الدول المنابة . لقد تحولت المنافسة بين الدول الكبرى في الفترة المعاصرة من الميدان الاوروبي الى الحلبة الاسيوية . ففي الصراعات الناشبة في غربي آسية (١٩٦٧ و١٩٧٣) اقتربت الدولتان الاكبر من حافة الحرب ، ولكنهما وافقتا على عدم التورط فيها . وفي غضون الحرب الهندية ــ الباكستانية في جنوب آسية (١٩٧١) قامت الصين والولايات المتحدة بمناورات ضد الهند والاتحاد السوفييتي يقصد منها التخويف والخديعة ، ولكن لم تلبث ان تهاوت بانهيار الباكستان . وفي جنوب شرق آسية ، التمست الولايات المتحدة معونة الصين لدفع فيتنام الشمالية والاتحاد السوفييتي نحو موقف اقل صلابة ، فتحقق لها ذلك . وفي النهاية فرضت التسوية اعتبارات توازن القوى في الشرق الاقصى ، والنزاع الصيني ــ السوفييتي ، وادراك الولايات المتحدة بانها لا يمكنها ان تحقق نصرا عسكريا في فيتنام . ووافقت الدول الكبرى الثلاث ، وكل منها كانت تتخوف من الاخرى ، على وضع نهاية للحرب في الهند الصينية عام ١٩٧٣ .

وجدير بالملاحظة ان نفوذ وسياسات الدول الكبرى الثلاث كان ملموسا في جميع المناطق الآسيوية الثلاث (جنوب شرق آسية وجنوب آسية وغرب آسية) ؛ وكانت سياسات الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة تتسم بالعداء الصريح المتبادل ، وكل من الدولتين كانت تساند احد المتحاربين على النحو الذي كان يجري في حروب البلقان قبيل الحرب العالمية الاولى ؛ ولعبت الصين في هذه المناطق الثلاث كلها دورها الخاص في مناهضة الدولتين الاكبر والتأرجح بينهما ؛ وكانت الدول الكبرى في كل من هذه المناطق الثلاث تحول موقفها وتشكله بغض النظر عن التزاماتها العقائدية .

وكل هذا كان لا بد أن يغير نظام الاحلاف العسكرية لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . فالدول الصغرى ، ولا سيما الدول الخاضعة للنفوذ الامريكي ، مقتنعة الان ، اكثر من أي وقت مضى ، بان ما تدعوه واشنطن بترتيبات « الامن الاقليمي » ، تبدو غير مواتية لضمان سلامة هذه الدول التي بدأت تشكك في جدوى التعهدات والالتزامات